الفصل الأول

الجسد

لقد ورد لفظ « الجسد » فى القرآن الكريم أربع مرات بمعنى الصور والشخوص والبدن [١] .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [٥] .

---

(١) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان . دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ، ص ١٨٥

(٢) محمد عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، حققه محمود خاطر بك ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ١٠٣

الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم ، حققه عبد العزيز سيد الأهل . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٠٥

(٢) الأعراف : ١٤٨ (٣) طه : ٨٨ (٤) الأنبياء : ٨

(٥) سورة ص : ٣٤

ولقد ورد لفظ « الجسم » بمعنى الجسد ، أو البدن ، مرتين وبصيغة المفرد مرة ، وبصيغة الجمع أخرى [١] .

قال تعالى : ﴿ وقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ، قَالُواْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [٣] .

والجسد كالجسم ، ولكنه أخص [٤] ، إذ يغلب إطلاقه على جسم الإنسان [٥] ، وأيضاً فإن الجسد ما له لون ، والجسم لما لا يبين له لون ، كالماء ، والهواء .. وباعتبار اللون قيل للزعفران جساد [٦] .

و « الجسم ما له طول وعرض وعمق ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجساماً، وإن قُطِع ما قُطِع ، وجُزِيءَ ما جُزيء ، والجُسمان : قيل هو الشخص ، والشخص قد يخرج من كونه شخصاً بتقطيعه ، وتجزئته بخلاف الجسم » [٧] .

والجسد يمثل الجانب المادى للإنسان (الطين) وقد أثبت التحليل المخبرى أن عناصر تكوين جسم الإنسان هى عناصر التكوين للطين .

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٧٠

(٢) البقرة : ٢٤٧ (٣) المنافقون : ٤

(٤) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٣

(٥) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ١٠١

(٦) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٩٣

(٧) المرجع السابق ص ٩٤

وتشتمل هذه العناصر على (٩٢ عنصراً) طبيعياً [١] ، وتختلف بنسب متفاوتة فى تركيب جسم الإنسان ، ولعل أهمها [٢] :

- الأوكسجين	٨١ ر ٦٢ ٪
- الفحـــــم	٣٧ ر ١٩ ٪
- الهيدروچين	١٤ ر ٥ ٪
- الأزوت	٣٨ ر ١ ٪
- الفوسفور	٦٤ ر. ٪
- الكلس	٦٣ ر. ٪
- الكبريت	٢٦ ر. ٪
- الكلور	٢٢ ر. ٪
- الصوديوم	١٨ ر. ٪

وقد قدَّر أحد العلماء قيمة كمية هذه العناصر فى جسم الإنسان بمبلغ ٥٠ أو ٦٠ ٪ من الجنية المصرى [٣] ، أى ما يُساوى ٣٠٠ - ٤٠٠ مليماً تونسياً تقريباً .

وإن الاختلاف فى كمية كل عنصر فى أجزاء الجسم إنما يعود إلى الاختلاف فى المهمة الملقاة على عاتق كل جزء .

« فالكالسيوم والفوسفور مثلاً يُكوِّنان الهيكل العظمى ، ولذا يوجدان فى الجسم بنسبة أعلى من نسبة كثير من العناصر ، فإن بعض تلك العناصر النادرة توجد فى الجسم بكميات ضئيلة ، قد تصل إلى أجزاء من مليون مـن الجـرام ،

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٠

(٢) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٧

(٣) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن . دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ط ٥ ، ص ٥٨

وهذه تقوم بدور العوامل المنشطة لبعض الخمائر فى بعض خلايا الغدد الخاصة فى الجسم ، مثل الكوبالت فى فيتامين ب ١٢ ويوجد فى البنكرياس ، ويلزم لصنع الكرات الدموية الحمراء ، وفى بعض هذه الوظائف الأخرى للخلايا العصبية » [١] .

وإن القرآن يشير إلى أن الماء عنصر أساسى فى تكوين جسم الإنسان .

قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ، أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [٣] .

والطين = تراب + ماء .

والماء « من العناصر الغذائية ، التى تدخل فى تركيب وتكوين الخلايا والدم ، وهو يقوم بإذابة الفضلات العادية ، والضارة ، ليحملها خارج الجسم ، مع العَرَق ، أو البول ، كما يعمل على تنظيم حرارة الجسم ، ويحصل الإنسان على حاجته من الماء إما بطريقة مباشرة خالصة من الطعام ، أو بطريقة غير مباشرة ، وذلك بتأكسد مختلف أنواع الأغذية داخل الجسم » [٤] .

وإن هذه العناصر تنتقل إلى الإنسان عن طريق ما يتناوله من غذاء ، وإن العناصر كانت كامنة فى خلية واحدة ، لا تُرى بالعين المجردة ، تتكوَّن من الحيوان المنوى والبويضة ، وهما يتكوَّنان من نفس هذه العناصر عند والديه ، ثم تتغذى هذه الخلية (الجنين) فى رحم الأم من نفس هذه العناصر [٥] ، فكان

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٠

(٢) الأنبياء : ٣٠ (٣) المؤمنون : ١٢

(٤) جماعة من أهل الاختصاص : فن الطبخ الصحيح . دار مكتبة الحياة ، ببيروت ص ١٠

(٥) الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول (مرجع سابق) ص ١٠٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤٢

خلية واحدة إلى أن تخرج إنساناً ، ذا خلايا مختلفة ، فى أجزاء جسمه ، عظمية ، عضلية ، عصبية ، عين ، أذن ... [1] إلخ .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه منْ رُّوحه وَجَعَل لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئدَةَ ، قَليلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [2] .

فما هو السر فى ذلك ، وأين مكان كل جزء من الخلية ، وهل هذا الجزء أو ذاك من الأم ، أو الأب ، أو منهما ؟

تلك أسئلة تستحث الدراسات التجريبية للإجابة عنها ، ولا تزال دائرة المجهول أعظم كثيراً إزاء الإنسان من دائرة المعلوم فى هذا المجال .

قال تعالى : ﴿ سَنُريهمْ آيَاتنَا فى الآفَاق وَفى أنْفُسهمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أنَّهُ الحَقُّ ، أوَ لَمْ يَكْفَ بربِّكَ أنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهيدٌ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَفى الأرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقنينَ * وَفى أنْفُسكُمْ ، أفَلاَ تُبْصرُونَ ﴾ [4] .

« فى جسم الإنسان ألف مليون مليون خلية (... ر... ر... ر... ر ... ١) وهذه الخلايا تشكل مجموع الأجهزة فى الإنسان ، مثل جهاز التنفس ، وجهاز الهضم ، والجهاز البولى ، والجهاز التناسلى ، والجهاز الدموى ، والجهاز العضلى ، والجهاز الصقلى العظمى ، والجهاز العصبى ، والجهاز الجلدى ، والجهاز الضام ... بالإضافة إلى الحواس كالسمع والبصر والذوق والإحساس عن طريق الجلد ، فمجموع هذه الأجهزة تتعاون معاً لتشكيل كينونة واحدة ، هى الكائن الإنسانى ، كما أن الجهاز الواحد بالذات ينقسم إلى أعضاء ، مثل الجهاز الهضمى الذى ينقسم إلى الفم ، واللّسان والحلق والبلعوم ... إلخ » [5].

---

(١) د . حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو (مرجع سابق) ص ٧٩

(٢) السجدة : ٩ (٣) فصلت : ٥٣ (٤) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٥) د . خالص الجلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٤٢

« ويستهلك الجسم من خلاياه حوالى . . ٧٥ مليون خلية فى الدقيقة الواحدة ، وكمثال على ذلك فإن أحد قطاعات الجسم ، وهو الوسط الداخلى الدموى ، يستهلك الإنسان منه فى كل ثانية حوالى مليونى كُريَّة حمراء ، ويختلف عمر الكُريَّة الحمراء التى تمثل نوعاً من أنواع الخلايا عن أعمار باقى الخلايا فهناك الخلايا التى لا تعيش إلا أياماً معدودة بسيطة ، وهناك الكُريَّة الحمراء التى تعيش وسطياً حوالى شهرين ، وهناك الخلايا التى تعيش ما عاش الإنسان ، تُولد بعدد محدود مُقدَّر ، وتبقى كما هى لا تزيد إلا بحالة واحدة ، وهى النمو السرطانى الخبيث ، كما أنها لا تنقص إلا بالآفات التى تُدَمِّر الخلايا وتتلفها ، وهى الخلايا العصبية المركزية » (١) .

« وهذا الثبات فى عدد الخلايا العصبية مهم ، لأن الخلايا لو تغيَّرت وتكاثرت كما تتغير وتتكاثر خلايا البدن فإن معنى هذا أن على الإنسان أن يتعلم اللُّغة كل ستة أشهر مرة أُخرى ، ويكون معنى هذا أيضاً فقدان الذاكرة ، وتعلم ممارسة الحياة ، وبالاختصار لا حضارة إنسانية ، فثبات الخلايا العصبية هو الذى جعلها تجمع الخبرات ، والمعلومات ، وتُنمِّى الثقافة ، والأفكار ، والمفاهيم » (٢) .

وإن نقص أو زيادة أى عنصر من هذه العناصر فى جسم الإنسان عن النسبة المحدَّدة يُعتبر حالة مرضية ، تسبب لصاحبها عواقب سيئة ، جسمياً ، وعقلياً ، ونفسياً (٣) .

فـ « خذ هرمون الغدة الدرقية المفروض أن يتوفر فى الدم بنسبة معينة ، فإذا

---

(١) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ، جـ ١ ص . ٤ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١١٨ - ١١٩

(٣) د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى ، دار النهضة العربية ببيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ٥٥ - ٦٠ .

عبد المجيد عبد الرحيم : علم النفس التربوى . مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، ص ١٨٢

انخفضت نسبته عن ذلك قليلاً تغيَّرت الصورة العامة للشخص فى كثير من جوانبها ، ففيما يتعلق بالنشاط الذهنى ، وبالشخصية ، نجده يصبح كثير النسيان ، وتقل قدرته على تركيز انتباهه ، كما أنه يفقد القدرة على المبادأة ، أو الإقدام ، والحسم فى المشكلات ، وتنفيذ الخطط ، هذا إلى جانب تغيرات أُخرى تطرأ عليه ، ولا يمكن القول بأنها تغيرات سلوكية ، إلا أنها مع ذلك تتدخل - بشكل غير مباشر - فى تشكيل سلوكه ، من ذلك مثلاً أن الشخص يصبح بديناً ، شديد الحساسية للبرد ...

وكذلك تؤدى زيادة الإفرازات إلى اضطرابات لا تقل عن ذلك خطراً ، ففيما يتعلق بالنشاط الذهنى ، وبالشخصية ، يصل الأمر فى بعض الحالات الحادة إلى درجة تفكك تيار التفكير ، والخلط ، والهذاء ، وحدوث بعض الهلوسات ...

ويحدث أحياناً أن يُولد الطفل دون غدَّة درقية ، فلا ينمو ، ولا يكتسب المظاهر الإنسانية للشخصية ، فيعيش كالحيوان الذى لا يستطيع أن يُعبِّر عن رغباته ، إلا بصيحات يُطلقها من حين لآخر ، ولذلك يُقال عنه إنه يعيش فى مستوى تحت البشرى ، أما من حيث الاستجابات الذهنية ، والحركية ، فهى بطيئة جداً ، وتتسم بطابع الغباء ، والتبلد ، وغالباً ما يكون الطفل أبله ، أو معتوهاً .....» [1] .

« والبنكرياس يفرز الأنسولين ، الذى يُنظِّم سكر الدم ، والخصية تفرز الهرمون الذى يهب صفات الذكورة ، والغُدَّة النُخامية تفرز هرمونات النمو والتكامل ، بحيث لو اختل إفراز إحداها لأُصيب الإنسان بداء السكر ، أو بالأنوثة بعد الذكورة ، أو بالقزامة بعد الطول الطبيعى » [2] .

« وكذلك فإن الغُدَّة النُخامية التى توجد فى وسط الرأس ، وتتألف من عدة

---

(١) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٧٨ م بتصرف ، ص ٢٩

(٢) د . حسن فرهود : الوجود الحق (مرجع سابق) ، ص ٥٩ - ٦٠ بتصرف .

فصوص ، وتُسمى هذه الغُدَّة بالغُدَّة الأم ، لأنها تقوم على رقابة غُدَّد الجسم اللاقناتية الأُخرى ، كما يقوم رئيس العمال فى المصنع على شتَّى طوائف العمال به ، وهى تراقبها بإرسال الهرمونات لتضبط أعمالها ، وقد كشف الكاشفون عن ستة هرمونات منها فى الفص الأمامى من الغُدَّة ، ولا يزال البحث جارياً فى الفص الخلفى ، والفص المتوسط ، وهرموناتهما » [١] .

وإن هناك غُدَّداً أُخرى كالغُدَّد الكظرية (غُدد ما فوق الكليتين) ، والغُدَّة الصنوبرية ، والغُدَّة الزعترية [٢] ... إلخ ، ولكن نكتفى بما سبق لتوضيح أهميتها فى جسم الإنسان فى بناء الذات .

وهذه كلها تعمل على القيام بوظائفها بطريقة غير إرادية من الإنسان نفسه ، فـ « إن الجسم الإنسانى فى إجرائه الحياة ، ذات العمليات الكيميائية المتتابعة ، التى يصل بعضها بعضاً ، ويعتمد بعضها على بعض ، يحتاج لضبطها ، وتوقيتها ، وتنسيقها ، إلى هرمون وهرمون وهرمون ، وما أكثر الهرمونات ، وما أكثر الرُسل . إبداع فى إدارة هذا الجسم عجيب ، وفهم يقوم به من المواد ما لا يفهم ، ولكنه يقوم به لغاية ، وغاية لا بد منها ، وغاية كالغاية الواعية ، وما فيها من وعى .

مواد لا وعى بها ، ولكن هنالك وعى ، وهنالك هدف ، وهنالك غاية كل هذا الوعى العاقل المُدبِّر إنما اختفى وراء ما ترى من عمليات هضم ، وعمليات إفراز ، وعملية حياة ، تتضمن ألف عملية ، وتزيد الملاحقة تعقيداً ، وتزيد التوقيت صعوبة ، لو كان إنسان قيماً عليها إذن لفسدت ، ومن أجل هذا قامت الحياة

---

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٢٧ بتصرف .

(٢) د . مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى (مرجع سابق) ٢٥

د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٢٤

د . عبد الرحمن محمد عيسوى : علم النفس الفسيولوچى (مرجع سابق) ص ٥٥

بديلاً عنا بوعى أيقظ وبفكر أفهم وبدقة متناهية ، وبإدراك لمعنى الزمان ، وتلاحق الدقائق والثوانى [١] .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [٢] .

وإن « ردات الفعل الإرادية لا تحتاج إلى دماغ ، لكنها تفترض حالة من اليقظة ، بالنسبة إلى الوظائف الحسية ، والحركية على الأقل .

أما بالنسبة إلى الوظائف الغذائية ، فإن هذا الضبط يتعلق بوظائف ويفترض تناسق جميع الأحشاء ، للحفاظ على الحرارة ، ولضبط التفاعلات الكيميائية ... وغير ذلك . والكلب الذى انتُزع دماغه ، يبدو طبيعياً إذا ما ظل يحتفظ بمراكز القاعدة ، فهو يمشى مشياً طبيعياً ، لكن الملاحظة الدقيقة تبين أنه حى آلى ، يعجز عن ردات فعل التكيف الدقيقة ، التى تنم عن الذكاء » [٣] . وعلى ذلك تم استنباط أن « الحياة الانفعالية العليا تتعلق بالقشرة » [٤] .

وبهذا نُدرك أن جسم الإنسان له أهميته الكبيرة فى تكوين الذات الإنسانية، جسمياً ، ونفسياً وعقلياً ، وليس للإنسان اختيار فى ذلك ، ولكن يجب أن لا يكون هنالك مبالغة فى تقدير أهميته [٥] على حساب الجانب الآخر فى الإنسان . وهو الجانب الروحى ، الذى له دور رئيسى - أيضاً - فى التقويم ، والترشيد ، لما يمنحه هذا الجانب للإنسان من إمكانيات ، وقدرات ، وقيم ، ومبادىء روحية [٦] .

---

(١) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ١٩ بتصرف .

(٢) المؤمنون ١٢ - ١٤

(٣) ، (٤) بول شوشار : فيزيولوجية الوجدان . ترجمة د . خليل الجر ، المطبعة البوليسية ، يونية ١٩٧٧ م ، ص ٥٤

(٥) مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعى . (مرجع سابق) ص ٣٠

(٦) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣

و « إن التكامل العضوى فى الجسم يظل ناقصاً ، وأنه يرتكز على علاقات احتمال ، وكل هذا لا يتلاءم مع التماسك التام للسلوك ، ويُعبِّر عن كثرة العوامل ، وتعدُّد الدوافع ، والميول ، والنزعات ، التى قد يكون التوفيق بينها فى غاية الصعوبة » [١] ، وإن «العلاقات المتبادلة والتحليلات العلمية تُبيِّن أن الصفات المختارة لتعريف عادة ضعيفة ، وإذا كان من السهل العثور على حالات مميِّزة ، فإن التصنيفات تمثل فى مجملها اتجاهات إحصائية ، أكثر مما تمثل أفراداً ، وعلى الرغم من ذلك ، منهم من يفترض علاقة تكاد تكون ثابتة بين التشكل من ناحية ، والمزاج أو الخَلْق أو الطريقة الذهنية من ناحية أُخرى ، ومن الممكن أن تكون بعض العلاقات حقيقية ، ولكنها لا يمكن أن تكون على ما يدَّعونه من الصلابة ، ولعل النتائج المتناقضة لبحوث كثيرة ناجمة عن هذا الموقف » [٢] .

عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إن اللّه عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب »[٣] .

إن الكل يدرك أن الإنسان ليس له دور فى اختيار لونه ، أبيض أو أسود .. إلخ ، وإنما ذلك يرجع إلى طبيعة تكوينه .

وكذلك قد تكون الصفات التى يتصف بها إنسان ليست من اختياره ، وتقويمه ، وترشيده ، ولكن ذلك يعود إلى ما جُبِلَ عليه فى طبيعته ، كما أن المكان لا يعود إليه اختيار فى أن يكون سهلاً ، أو حَزْناً [٤] .

والحديث ليس معناه تقسيم الناس بين طيب وخبيث ، أو سهل وحَزْن فقط ، ولكن هنالك درجات من أسفل سافلين إلى أعلى عِلِّيين .

---

(١) أوجين شريدر : البيولوجية الإنسانية (مرجع سابق) ص ٥٨

(٢) المرجع السابق : ص ٥٩ - ٦٠

(٣) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة البقرة ، وقال : حسن صحيح ، جـ ٤ ص ٢٧٣

(٤) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٥ - ٢٦

وبذلك نُدرك مغزى من مغازى اشتراط النية فى العمل ، الذى يقوم به الإنسان ، بأن يكون لوجه اللّه ، وحيث إننا قلنا إن الدرجات متفاوتة فى الصفات التى يتصف بها الإنسان ، فإن النية فيها تقويم وترشيد أفضل لما يتصف به الإنسان ، لأن فيها مجاهدة للنفس ، ولكل قدرة وطاقة ، ولكل أجر ، وهنا يتحقق الابتلاء والامتحان .

قال تعالى : ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١) .

ويلمح الإنسان هنا شيئاً من باب القَدَر فى موضوع القدرات ، والإمكانيات ، لحكمة عالية ، وهى بناء الحياة الإنسانية ككل ، وأن ذلك ليس راجعاً للإنسان نفسه .

ولذا فإن المؤمن العاصى خير من الكافر الخيِّر ، ولكن الكافر الخيِّر سيكون خيِّراً ويزيد عند الإيمان .

عن أبى هريرة قال : قيل : يا رسول اللّه ؛ من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاكم » قالوا: ليس عن هذا نسألك ، قال : « فيوسف نبى اللّه ، ابن نبى اللّه ، ابن نبى اللّه ، ابن خليل اللّه » ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه ، عن رسول اللّه ﷺ قال : « تجدون الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خير الناس فى هذا الشأن ، أشدهم له كراهية ، وتجدون شر الناس ذا الوجهين ، الذى يأتى هؤلاء بوجه ، ويأتى هؤلاء بوجه » (٣) .

---

(١) الملك : ٢

(٢) رواه مسلم فى كتاب الفضائل ، حديث ١٦٨ ، جـ ٤ ص ١٨٤٦

(٣) رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات :١٣) جـ ٤ ص ١٥٣

فلطبيعة الذات أهميتها ، وللنضج أهميته [١] ، وللتنشئة الاجتماعية أهميتها [٢] ، وللإيمان أهميته [٣] ، ولكن أن تقول ما هو المهم ؟ فالكل مهم ، ولكن الأهم الإيمان ، لأن فيه ترشيداً وتقويماً للفرد والمجتمع ، وفوزاً برضا الخالق سبحانه ، وفوزاً بالدارين ، بدلاً من الفوز بمتاع الحياة الدنيا .

ومن نفس العناصر التى يتكوّن منها الإنسان ، يتشكل منها فى الأرض من حولنا مخلوقات مختلفة ومتنوّعة ، فهذه دابة ، وهذا طير ، وتلك سمكة ...إلخ . وتضمها وحدة متناسقة فى السُنَن والقوانين ، لترى كوناً عامراً بالحياة ، تثير العجاب والدهشة [٤] .

* * *

(١) د . أحمد عبد العزيز سلامة وآخرون : علم النفس الاجتماعى . دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ٧١

(٢) المرجع السابق ص ٨٠

(٣) د . حسن الترابى : الإيمان .. أثره فى حياة الانسان . دار القلم ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ ، الكويت ، ص ٢٨

(٤) د . أحمد زكى : مع الله فى الأرض (مرجع سابق) ص ٤١ - ٤٢